

العنوان: "الرباعي اللافت" ... علاقة مشروع ونواة مدرسة الأكرف... الدرازي... القرمزي... التتان: لسنا للطوارئ ولكن نستخرج «السمك» طرياً

المصدر: الوسط - العدد 1604 - الجمعة 26 يناير 2007م الموافق 07 محرم 1428هـ

"الرباعي اللافت" ... علاقة مشروع ونواة مدرسة الأكرف... الدرازي... القرمزي... التتان: لسنا للطوارئ ولكن نستخرج «السمك» طرياً.

أينما تولي بوجهك في عاشوراء البحرين، فثمة إعلانات تحمل أسماء وصوراً لا تخلو عادة من (شخص أربعاً) ... إما موكب جماهيري يتحرك بزحفه أينما وجدوا، وإما إصدار سمعي تتلاقفه الأيدي، حتى يخال لك كأنهم يحتكرون كل شيء، من المواكب إلى سوق التسجيلات.

من هم؟ كيف التقوا واستمروا؟ كيف اكتسبوا هذه الجماهيرية؟ ما الذي يربطهم: علاقة عابرة أم مشروع جماعي؟ متاجرة دنيا أم تجارة آخرة؟ عمل ارتجالي أم تأسيس مدرسة؟ قصائد طارئة أم عفوية حاضرة؟ هل ثمة رسالة يحملها هذا الرباعي؟ هذه الأسئلة وغيرها استتظفتها «الوسط» من أفواه الأربعة... الرادودان الشيخ حسين الأكرف، وصالح الدرازي، والشاعران عبدالله القرمزي، ونادر التتان. استضافة جماعية أسفرت عن هذا الحوار...

- يلاحظ المتابع وجود أصوات كثيرة لها شهرتها ومريدوها، ولكنه يتوقف أمام شعبية رباعي «لافت» (الأكرف - الدرازي - التتان - القرمزي)، شاعرين ورادودين، تكتسح إصداراتهم السوق والحظ الأكبر من الجماهير، هلا تحدثنا أولاً عن نشأة وتاريخ هذه العلاقة؟

- القرمزي: تشكلت جذور هذه العلاقة بداية بين الأكرف والدرازي، وكان دخولي أنا والتتان لاحقاً. نحن لم نختر أنفسنا صحبة، بل القواسم والمزايا والظروف هي التي جمعتنا، أي أن المشروع لم يكن مؤسساً بشكل مقصود. وطبيعي أن الرادود يصطفي الشعراء المميزين ويكون علاقة ليكون مؤسسة إذا كان متكيفاً معهم، وهي علاقة متبادلة.

- الرمز الأبرز في هذا الرباعي هو الرادود الأكرف، الذي بدأ واستمر بشعراء كثيرين لفترة ما قبل غيابه عن الساحة بسبب الأوضاع، وكأنما عاد بقوة ليقود هذا الرباعي ويتخلى عن بقية من كتبوا له سابقاً، كما تثبت الإصدارات الأخيرة... فماذا يقول الأكرف؟

- الأكرف: العلاقة الناشئة بين الرادود والشاعر تتحدد وفق عدة عوامل، فكلٌ منهما يسعى إلى البحث عن الأكمل والأجمل، كما أن عليهما المرونة في التعامل (الوقت، التفرغ، الأولويات)، ولا بد أن يرتبطا ببعضهما روحياً ليحققا الانسجام.

أما بالنسبة إلى انفكاك العلاقة مع البعض في السابق، فإن ظروفًا مختلفة فرضت ذلك، منها عدم التفرغ التام لي كما حصل مع الشيخ صادق الدرازي؛ لكونه خطيباً؛ ما يعرض القصيدة للخطر. ولي هنا تعليق على توصيفنا بـ «الرباعي»، أشير إلى أننا نشكل ثلاثياً، إذ ارتبط أنا مع الشعراء التتان والقرمزي، وصالح من جهة أخرى معهما كذلك، كما نشكل رباعياً في آن واحد، إذ تقاربي مع صالح كبير جداً في عدة سياقات، منها علاقة النسب والمنطقة والموهبة الواحدة. القرمزي علاقتي به ثقافية فادبية فأخوية خاصة، التتان فرض نفسه شاعراً على هذه المؤسسة الصغيرة لتميزه وقدرته.

## جمالية "صلاة الليل"

- هذا النوع من التمازج بين شاعر وروادود يحدث كثيرا، بيد أنه سرعان ما يتلاشى لأسباب طارئة، كيف يفسر لنا الشاعر التنتان بقاء هذا الرباعي لفترة طويلة؟

- التنتان: كثير من الروادود ومنهم نحن التقوا شعراء وتعاملوا معهم والعكس، وما يجعل التمازج مستمرا هو مدى تحقيق علاقة الشاعر بالروادود بشكل أفضل، فالروادود يطمح إلى الكلمة الأنسب، والشاعر يطمح إلى اللحن المناسب لكلمته؛ وذلك ما جعلنا نتوافق فنستمر. كما أننا التقينا فكريا، وروحيا، وأخويا، وثلثي كثيرا بشكل شبه يومي.

- هل تستثمر هذه اللقاءات لمناقشة أوضاع الموكب مثلا، والنقد الذاتي لتطوير عطانكم؟

- التنتان: نعم، ندخل كثيرا في نقاشات بشكل دائم؛ لنقارن المواكب بين الفترات السابقة والحالية، ونوثق ذلك؛ لنرى مقدار العطاء والأداء والتطور.

- الأكرف: هناك حركة نقد أنبية ولاحقة؛ ما جعلنا نحذف أكثر من 50 بيتا في بعض القصائد أو نغير المستهلك أو بعض الأبيات، فمثلا غيرنا كلمات قصيدة «صلاة الليل» 3 مرات، وكذلك بعض فقرات قصيدة ليلة العاشر قبل عامين، كما أن هناك قراءة أدبية واسعة في كتب الأدب والشعر.

## الجمهور يطلبنا ولم نحتكر الإبداعات

- صالح الدرازي، رباعيتكم متهم باحتكارين، أولا: احتكار شاعرين مبدعين على مستوى البحرين لشخصيكما أنت والأكرف بصورة شبه استحوادية، واحتكار سوق الإصدارات والمواكب الرئيسية، لو صح الاتهام... هل لكم يد في بروز ذلك؟ وما أسبابه؟

- صالح: أولا بالنسبة إلى ارتباطي بهذا الرباعي، إن اختياري مبرر، ونتاج خبرة طويلة ومعيشة، إذ لم أجد ما يناسب شعوري أكثر منهم. أما احتكار المواكب الرئيسية فإنني لا أراه، فالناس هي الحاكم وهي حقا من يقدر الجهد المبذول، وأنا ألبي الدعوة التي أتلقاها وفق ظروفي.

- القرمزي (يتدخل): المُبدع يفرض نفسه من خلال الجمهور الذي يضغط على الإدارات لأجله؛ ولذلك تضطر إدارات المآتم المركزية إلى اختيار الأكفأ والأقدر.

- الأكرف (يطلب الحديث): العملية ليست احتكارا، إنها بتعبير أدق اختيار لكفاءة؛ لأن الاحتكار يعني المشاركة الأكثر، بينما الروادود الأبرز هم الأقل مشاركة في مآتم كمآتم بن سلوم، والسؤال لا يوجه إلينا بل إلى الإدارات والجماهير التي تختار الأكفأ في الليالي الأصعب.

- التنتان (يستنفر): الناس لا تعرف التفريق بين الاحتكار والبناء، فالمواكب ليست كالنوادي؛ لذلك لا تستطيع التفريط بليالي مهمة لقيادة المواكب (كلمة وأداء وتفاعلا)؛ لأنها تريد تحقيق إنجاز.

## مشروع عطاء لا متاجرة

- على رغم التلاحم الواضح بينكم، فقد رأينا ما يشبه الانشقاق بمشروع ثنائي قام به الأكرف وضم إليه القرمزي لاحقا، من خلال تأسيس مركز الوفاء للتسجيلات الإسلامية... هل هذا التفرد طبيعي نتيجة ظروف العمل؟ وماذا حققتما من تأسيس هذا المركز؟ وما أهداف مشروعكما المستقبلية... وخصوصا أن البعض يتهمكما بالمتاجرة المادية على حساب الفن الإسلامي الراقى؟

- الأكرف: أولاً، لا دخل للقرمزي بمركز «الوفاء»، على رغم أننا تدارسنا الموضوع سابقاً وشارك فيه زمناً. مشروع «الوفاء» يخدم المؤسسة الصغيرة، كما يمثل فرصة لجميع الرواديد ونزلت عليه كثير من الإصدارات لمن لا يملكون سجلاً تجارياً، وبصراحة منذ أمد بعيد كنا نفكر في مؤسسة تنهض بمشروعنا، فكانت «الوفاء» مشروعاً شخصياً يحمل أهدافاً إسلامية. وساهم ذلك في استمرار العطاء بل وجودته، إذ إن إنتاجي مثلاً قبل «الوفاء» كان 2 في المئة، وبعدها أصبح النسبة الباقية من المئة.

وبالنسبة إلى الأرقام، نحن لسنا بصدها، ولكني أكلّمك عن الظاهر، فعندما يكون هناك إصدار معين وتباع كميات كبيرة منه في 10 أيام («أي جرح» 80 ألفاً و«وقفة ألم» 30 ألفاً) فإني أرى أن تلك المبالغ ستصرف في مشروع رسالي آخر وأوسع، لا أخذ من تلك المبالغ لجيبي أكثر مما أعطي للنجاح والعمل الإسلامي.

### عملنا مدروس وليس مصادفة

- أصوات بهذه القيمة الجماهيرية، والتفاف شبابي بهذا الكم الكبير حولكم، ألا يستدعي وجود خطط مستقبلية تحقق طموحات مريدكم، وأهمها حضوركم الفاعل على القنوات الفضائية شعراً ومرثيات؟

- القرمزي: عملنا مخطط له ومدروس وليس مصادفة، والدليل النجاحات المستمرة. إننا مؤسسة من غير بناء ولا دستور، ولنا خطة عمل غير مكتوبة. مثلاً نخطط إصداراتنا على الصعد كافة مدة عام كامل. ثم نبدأ الإنتاج، هكذا في كل مرة، ولنا مشروعات قادمة نعد لها منذ الآن. حتى على صعيد الطرح في الموكب، فقد شكرت مثلاً بعض الجمعيات الحقوقية الشيخ الأكرف على القصيدة التي ألقاها قبل عامين عن حقوق الإنسان.

- الأكرف: أنا أجزم أن 80 في المئة من إصداراتنا تسيء إلى المذهب، إذ بعد دراسة انعكاس خارجي توصلنا إلى أن الإصدار ما لم يكن راقياً كلمة ومعنى وفناً وإخراجاً فإنه يسيء إلى المذهب. أنا أعتزف بالعفاسي وسامي يوسف كفنانيين قدما فنا راقياً، وأعتزف أن هناك مقصرين في المذهب الشيعي، فالعطاء الراقى بهذا المستوى يخدم التيار الإسلامي عموماً والمذهب خصوصاً. وأعتقد أن الفن الإسلامي الراقى مقرب للمذاهب، ولقد وصلت إليّ مباركات من إخوة سنة وشيعة من البحرين وخارجها كما أسأل عن إصداري، ونزل مقال على صفحة الإنترنت عني فنياً من إخوة سنة، ولا نمانع مستقبلاً التعاون المشترك مع أمثال أولئك الفنانين، من هذا المنطلق سعينا بجدّ إلى إنجاح مشروع «الوفاء» وتجربتنا، لنقدّم منتجاً راقياً يخدم الساحة الإسلامية.

- صالح (معلّقاً): واقعا تصل إليّ الكثير من الاتصالات على هاتفي المحمول وبالإنترنت من إفريقيا وأميركا وبريطانيا بشكل يومي كلّها تثني وتشكر الإصدارات، بل ويتابعون حتى أخطائي وبنّبّهوني إليها، وهؤلاء ليسوا بحرينيين فقط، بل هم من العرب عموماً.

### لن نُغفل الأطفال

- الأطفال يشكلون جزءاً كبيراً من جماهيركم، غير أنكم تهضمون حقهم دائماً، فلا يوجد اهتمام خاص منكم تجاههم، وخصوصاً على مستوى الإصدارات. ألا تعملون على استثمار التفاف الأطفال حولكم؟

- صالح: ذلك تقصير مني؛ ولذلك ظروفه ومبرراته، وشعرت بأهمية ذلك مع «قصيدة الأم» التي لاقت رواجاً على رغم أنها لم تكن إصداراً. وحقيقة، لي عمل مع الأطفال، ولكني أخشى ألا أتمكن من توظيف صوتي منشداً لهم، غير أنني أعدهم بالمحاولة إن أمكن ذلك مستقبلاً.

- التتان (يقاطع): الموضوع تخصص، أنا كتبت لمدارس كثيرة، وأنا مستعد لذلك ولكني لم أجرب، كما أنني مشغول بأعمال أخرى لأخرين. وإذا لاحظتم فإن إصدار «مشاعر» يحوي عدة قصائد متنوعة، وفي البال موضوعات أخرى لم تُضمّن قد تجد طريقها في إصدار لاحق.

### العاطفة ركيزة في قصائد الموكب

- يقال إن دخول التتان إلى هذا الرباعي، أعطاه زخما تراجيديا في اعتماد قصائده على الروح البلاغية والخيال الواسع، ورفع من المنافسة الشعرية على مستوى البحرين. كيف يصف التتان المرحلة الانتقالية التي أخذت الموكب من أحضان الاستغراق في السياسة واستقرت به في أحضان العاطفة؟ وهل ثمة مشروع شعريّ تحملونه للرقيّ بالموكب الحسيني؟

- التتان: التقييم للمستمع وليس لي، ولكني أميل إلى العاطفة والمصيبة بلا استغراق. نعم، ربما ركّزنا أخيرا على حوادث معينة والأسلوب الروائي القصصي المؤثر من دون إغفال الجانب السياسي.

- أكان ذلك ردّ فعل تجاه ميل الناس إلى الطرح العراقي؟

التتان: لم نتأثر بالعراقي، بل نواكبه ونطلع على ما ينتج. العاطفة موجودة أساسا في صلب القضية الحسينية وليست طارئة، فالموكب كتلة عاطفية. ونحن نستفيد دائما مما يطرحه الشعراء من كل مكان، ونركّز على شعراء الدواوين أكثر من شعراء المواكب.

القرمزي: كان لنا لقاء حميم مع الكثير من الشعراء بعيدا حتى عن إطار الموكب، ونادر التتان يحاول الانفتاح على عدد من الشعراء فهو جوال. وعموما نسعى إلى الانفتاح على الآخرين.

التتان: مشروعاتنا كثيرة أنا والقرمزي مع الأكرف والدرازي، إلا أننا لا نستطيع أن نصح عن أي منها الآن. أؤكد أن التقاء شاعر وروادود أو أكثر يحتاج إلى نفس طويل للخروج بمشروع متكامل.

### مطربون دهبوا من ابتكار فن غريب

- ثمة أحاديث أنكم بهذا الرباعي تسعون إلى تأسيس مدرسة عزائية خاصة، وقد نجحتم نوعا ما، وخصوصا أن ملامح قصائدكم (لحنا ووزنا وكلمة) بدأ رواجها بشكل واضح على مستوى الخليج، وخصوصا الكويت والمنطقة الشرقية... هل يحدث هذا فعلا؟ وما سر هذا الانتشار في وقت ينتقد كثيرون في البحرين تركيبة قصيدتكم العزائية بأوزانها المتعددة؟

- الدرازي: تأسيس مدرسة يبقى طموحا، قد اختلف مع الأكرف في الأوزان وقد أتفق؛ ما يبيّن عمق العلاقة بيننا. أما عن الانتشار، فإنني أتلقى اتصالات من رواديد خارج البحرين يطلبون مساعدتنا على الألحان، كما أرى اقتفاء الكثيرين نهجنا ومدرستنا غير الرسمية، ولاسيما في القطيف والكويت وعمان. سرّ الانتشار بهذا الحجم على رغم الانتقادات الكثيرة هو نجاح الأعمال. أثار نتاجنا إعجاب حتى بعض المغنين، إذ أخبرني مهندس المكساج لأحد الإصدارات أن مطربا بحرينيا معروفا سمع مقاطع من الإصدار وأبدى دهشته وإعجابه بوجود طاقات لها هذا المستوى من الأداء في مجال بعيد عن الغنائية.

- الأكرف (يضيف): أودّ التوضيح أن إعجاب المغنين ليس لتكرّر قطعة منهم؛ بل لمجيء شخص ما بفن غريب الملامح يبتكر ويبدع المختلف عمّا ألفوه تماما، وهو شيء نفتخر به.

- ماذا عن اطلاعكم على أنواع المقامات وطبقاتها، هل تدرسونها باعتبارها فنا أم تعتمدون على أحاسيسكم العفوية فحسب؟

- الأكرف: نصحنأ بعض أهل الفن في المقامات (دكاترة وماجستير) منهم المخرج الفني حسام يسري بالابتعاد عن الدقة والتعمق في الالتزام بالمقامات؛ لأن ذلك مقيّد للإحساس. وهم يعجبون أثناء استماعهم بالتقاء ألحان لا تجتمع أكاديمياً، إلا أن الإحساس راق، تستطيع الإبداع مع ذائقة رائعة بلا دراسة.

### لا أحد يبتكر مدرسة من لا شيء

- ماذا عن تأثركم بمدارس أخرى؟

- الدرازي: البحرين متميزة لهجة ولحنا. نعم، استوردنا في حقبة معينة اللحن سواءً أكان على مستوى الخطيب أم الشاعر أم الرادود عندما كان خيارنا الوحيد هو العراق، حتى غدت لهجة محببة لدينا. وبالنسبة إلى إيران، إن حاجز اللغة يحول دون استفادتنا من ألحانهم وكلماتهم وخيالهم وتراثهم. ومع استمرار التواصل الإعلامي وتطوره بدأ التلاقح بين العراقي والإيراني والبحراني في لعب دوره.

- الأكرف (مكملاً): حتى الخوزستاني، والقصييدة البحرانية وصلت إلى مناطق شاسعة جداً، صحيح أنها ليست لها معالم سابقة، ولكن بدأت تتحدّد معالمها، لحنا وسرعة ومفردات.

فعلا المدرسة البحرانية التي ينتمي إليها كل رواديد البحرين ليست لها معالم واضحة بل مختلطة، وتعتمد على التلاقح بسرعة مع الألحان الأخرى وتؤثر فيها، ولقد وصلت إلينا الأنباء عن إصداراتنا ومن خلال الإعلام؛ ما يدلّ على تأثرهم، ولاسيما في الأوساط العراقية. أقول إنه لا أحد يستطيع أن يدّعي ابتكار مدرسة من لا شيء، بل كل الموجود على الساحة هو نتاج تراكم تجارب متنوعة.

- القرمزي: لا نغفل أن الشعر العراقي تأثر أيضاً بالمدرسة البحرانية، والدليل تحوّل من الجنائزية إلى تعدّد الألحان.

- صالح: البحرين تأثرت فعلا بعدة مواطن، ولاسيما العراق. وعلى رغم ذلك، يبقى للبحرين تميّزها؛ ولذلك يحكي الكبار عن تفاعل الجميع في العراق مع القصائد البحرانية الفحة، ويكون موكبهم الأكبر حضوراً وتفاعلاً.

### عمل الطوارئ ليس ضعفاً

- ثرمون - شعراء ورواديد - بالارتجال في الطرح الموكبي كلمة ولحنا؛ ما يفرز لنا «القصييدة الطارئة»، وهو ما يضعف النتاج كلمة ومعنى، بماذا يرّد «الرباعي»؟

- صالح: الارتجالية لم تخدم الموكب أصلاً، ولا تضبطه... أفضل الترتيب والتنسيق المسبق؛ كي نعطي شيئاً يتناسب مع المناسبة.

- الأكرف: لا أعتقد أن شاعراً أو رادوداً يعمل بشكل مستقر، كلنا نعمل بشكل طوارئ، صحيح أن هذا لا يُبرّر إلا أنه الواقع، وهي ليست نقطة ضعف؛ لأن الجميع رواديد وخطباء واقعون في حال طوارئ. وأتذكر أن الشيخ عيسى قاسم قال في تأبين الشيخ الجمري إنه كان يكتب القصيدة وهو في طريقه إلى الحفل؛ ما يدلّ على سرعة البديهة والاعتدال وحضور قاموس اللغة وذلك مفخرة، فطالما كان الإبداع موجوداً فلا ضير في الارتجال.

- التتان: أتفق مع ما ذكر من مزايا الطوارئ، وأضيف أن غالبية القصائد تراها شبه ميتة؛ لأنها تكتب قبل مدة، فيما تكون قصائدنا العزائية مواكبة للحوادث. صحيح أننا سابقاً كنا نحتاج إلى متنفس، ولكننا نظّمنا أنفسنا الآن. ويبقى أن الارتجال غير المقتدر حال خاطئة.

- القرمزي: 10 سنوات ونحن نأكل السمك طريا، لسنا كتاب طوارئ، فطعم الوجبات الطازجة ألد، كنا ولانزال على استعداد للعطاء مع اقتراب المصيبة.